الإبادة الجماعية وتأثيراتها على المرأة الفيلية (دراسة سوسيولوجية تحليلية)

ميديا ابراهيم فتاح

قسم علم الإجتماع ، فاكلتي الآداب ، جامعة سوران، إقليم كوردستان، العراق

المستخلص

تهدف الدراسة الى معرفة الآثار النفسية والأجتماعية للإبادة الجماعية والتهجير القسري على المرأة الفيلية في مراحل قبل وأثناء وبعد الجريمة، ولغرض تحقيق أهداف الدراسة تم إعتماد المنهج الكيفي من خلال إستخدام المقابلة كأداة لجمع البيانات، حيث قامت الباحثة بإجراء دراسة إستطلاعية عن طريق إجراء مقابلات مفتوحة مع عدد من الكتاب والصحفيين ذوي الخبرة والمعلومات المعمقة حول قضية الكورد الفيليين والإبادة الجماعية والتهجير القسري، الى جانب مقابلات شبه مقننة مع (١٤) إمرأة من النساء الفيليات اللائي عاصرن جريمة الإبادة الجماعية وتعرضن وذويهم للتهجير القسري. توزعت العينة على مناطق مختلفة في أقليم كوردستان والعراق والخارج (أربيل، بغداد، بريطانيا، خانقين، سوران). وقد أظهرت نتائج الدراسة إن المرأة الفيلية عانت الكثير من المآسي والمعاناة والضغوط النفسية والأسرية والإجتماعية والإقتصادية والتي أدت الى أمراض جسدية مزمنة ذات جذور نفسية واضطرابات نفسية كالقلق والشك وعدم الثقة في الآخرين ودرجات مختلفة من الإكتئاب المزمن المصاحب لنوبات من الخوف والهلع والفزع عند إستذكار الظروف القاسية للجريمة. إضافة الى أزمة الهوية الذاتية والإجتماعية الى جانب متلازمة النوستالجيا أو الحنين الى الماضي. إلا أن قوة الشخصية والإرادة التي تتمتع بها جعلتها تخوض صراع البقاء والدفاع عن أسرتها وأطفالها وذويها بجدارة، وتمكنت من إعادة التوازن النفسي والإجتماعي للأسرة الفيلية على الرغم من عمق الآثار النفسية للجريمة التي لاتزال تعاني منها لغاية الآن.

الكلمات المفتاحية: الإبادة الجماعية، التهجير القسري، المرأة الفيلية، الآثار النفسية، الآثار الإجتماعية، الإبادة الجندرية

١. المقدمة

يشير مفهوم الإبادة الجماعية الى تلك الجرائم التي تُرتَكَب ضد مجموعات بشرية معينة بهدف القضاء عليهم كليا وذلك لأسباب قد تكون دينية أو عرقية أو طائفية أو سياسية. أن هذه الجريمة تدمر البنية الثقافية والأجتماعية لتلك الجماعة وتولد آثارا نفسية وأجتماعية عميقة لايمكن تجاوزها بسهولة حتى بعد مرور عقود على حدوثها. لقد تعرض شعب كوردستان الى موجات مدمرة من جرائم الأبادة الجماعية في ظل حكم النظام البعثي، وقد خلفت آثاراً مدمرة على البنية الإجتماعية للمجتمع الكوردي وخصوصا أولئك الذين تعرضوا لها بشكل مباشر. فيما يتعلق بالكورد الفيليين فقد كانوا ضحية لإبادة جماعية مدمرة أرتكبها النظام البعثي ضدهم وفقا لمراحل متعددة تضمنت التهديد والسجن والتعذيب والترحيل قسراً الى الحدود الأيرانية.

وهناك عدة مؤشرات تجعلنا نقول بأنها كانت أشبه بالإبادة الجندرية وذلك لكونها تمركزت حول إبادة جنس الذكور من الفيلية، ومن أبرز تلك المؤشرات، قرار مجلس قيادة الثورة عام ١٩٨٢ بسحب العسكريين المُهَجَرة عوائلهم من الجيش وإعفائهم من الخدمة العسكرية، وإرسالهم الى جهاز المخابرات للتصرف معهم، و إحتجاز ٥٠٠٠ رجل مدني فيلي في سجون العراق في الأعمار ١٦-٤٠ ولازال مصيرهم مجهولاً، الى جانب إحتجاز قُرابة ١٠٠٠ تاجر فيلي ممن يحملون هوية الغرفة التجارية العراقية، ومن ثَم تجريدهم من أوراقهم الثبوتية ومصادرة كافة ممتلكاتهم، ونفيهم الى الحدود الإيرانية.

كان من شأن تلك الجريمة تفكيك وتدمير نسيج العائلة الفيلية ومواجهة المرأة الفيلية لصعوبات ومشكلات وعقبات نفسية وإجتماعية وإقتصادية جعلتها في أزمة حقيقية ليس من السهولة تجاوزها. قامت الدراسة بتسليط الضوء على تأثيرات المراحل المختلفة للإبادة الجماعية على المرأة الفيلية. والعقبات التي واجهتها في أثناء سعيها للنهوض بالأسرة الفيلية و التعاطي مع إنعدام التوازن فيها والسيطرة على الفراغ الذي خلفته الإبادة الجندرية على الأدوار الجندرية، ونتيجة لذلك أصبحت المرأة تلعب الأدوار الجندرية الخاصة بالذكور

مجلة جامعة كويه للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٦، العدد ٢ (٢٠٢٣)
أُستلم البحث في ١٥ آب ٢٠٢٣؛ قُبل في ١ تشرين الاول ٢٠٢٣
ورقة بحث منتظمة: نُشرت في ١٨ آذار ٢٠٢٤
البريد الإلكتروني للمؤلف: media.fatah@soran.edu.iq
حقوق الطبع والنشر © ٢٠٢٣ **ميديا ابراهيم فتاح**. هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الإبداعي النسبية - CC BY-NC-ND 4.0.

Original Article |**DOI:** https://doi.org/10.14500/kujhss.v6n2y2023.pp265-276

والأناث في الوقت ذاته علاوة على الضغوطات النفسية والإجتماعية والإقتصادية التي جعلتها في حالة من الصراعات النفسية واضطراب في الهوية الذاتية والقومية، الى جانب متلازمة النوستالجيا التي تعد بمثابة دفاع نفسي يساعدها على التعايش مع الواقع الإجتماعي ومسايرته.

مشكلة الدراسة

تعد الأوضاع الإجتماعية للمرأة من حيث علاقتها بالرجل ودورها في الأسرة والمجتمع من المواضيع التي نالت قسطاً كبيراً في الدراسات السوسيولوجية وخصوصاً في الثقافات المغلقة. فالنظرية النسوية القديمة ترى أن المرأة وعلى الرغم من الدور الهام الذي تلعبه في المجتمع، الا أنها لاتتمتع بالمكانة التي تليق بها، حيث أن المجتمع الذكوري يعمل على قولبتها من خلال إختزالها في دور جندري محدد الإطار مبني على أداء الأعمال المنزلية وتربية الأطفال، أما النسوية الحديثة، على الرغم من إعترافها بتغير أوضاعها من حيث المكانة الإجتماعية والإقتصادية والمشاركة السياسية، الا أنها لاتزال دون المستوى المطلوب. أن ذلك يختلف بإختلاف الثقافات الإنسانية والبيئة الإجتماعية والظروف الإقتصادية والسياسية والمراحل التأريخية لكل ثقافة علاوة على السياقات الإجتماعية التي تشكل الصورة النمطية السائدة للأفراد فيها بحسب، جنسهم ودورهم الجندري.

للكورد الفيليين ثقافة إجتماعية خاصة تحددها أنماط التنشئة الإجتماعية الخاصة بهم ونسيج واسع ومتماسك من العلاقات الإجتماعية وأواصر وروابط عائلية متينة مبنية على التمسك بالتقاليد والأعراف الإجتماعية الخاصة بهم. تتمتع المرأة الفيلية بمكانة إجتماعية متميزة ودور إجتماعي خاص داخل الأسرة الفيلية عموماً، وفي إدارة الشؤون الإقتصادية للعائلة على وجه الخصوص، وذلك ضمن نسيج الثقافة الذكورية، هذا ماجعل المرأة الفيلية تتمتع بهوية إجتماعية مميزة تختلف عن تلك الصورة النمطية التي نعرفها عن المرأة في الثقافة الأبوية السائدة في المجتمعات الشرقية عموماً والعراق خصوصا.

تقوم هذه الدراسة بتسليط الضوء على شخصية المرأة الفيلية وتأثيرات الإبادة الجماعية على مكانتها في الأسرة، ودورها في النهوض بالأسرة من الآثار الدامية المترتبة على الإبادة الجماعية و في ظل الظروف الإجتماعية والسياسية والنفسية والإقتصادية العصيبة التي مرت بها. هل أصبحت منغلقة على ذاتها مستسلمة لظروف مابعد صدمه الإبادة الجماعية والتهجير القسري والتعذيب؟ ماهي الآثار النفسية والإجتماعية التي تركتها الإبادة الجماعية على شخصية المرأة الفيلية من الجيل المعاصر لجريمة الإبادة الجماعية؟ وماهي طبيعة التغيرات في دورها الجندري؟ ماهي معوقات قدرتها على التكيف الإجتماعي وتمكينها إقتصاديا واجتماعيا؟

أهداف الدراسة

التعرف على الأوضاع النفسية والإجتماعية للمرأة الفيلية قبل وأثناء وبعد جريمة الإبادة الجماعية والتهجير القسري، ودورها في النهوض بالأسرة الفيلية بعد تفكك نسيجها نتيجة للإبادة الجندرية.

منهجية الدراسة

تعتمد الأبحاث في مجال السوسيولوجيا على مناهج معينة وخطوات توجه سير بشكل منطقي. يبدأ المنهج عادة بتحديد مشكلة البحث مروراً بصياغة أسئلة البحث وصياغة الفرضيات وإختبارها وتحليلها ومن ثم عرض النتائج وصياغة التوصيات (عثمان وغنيم، ٢٠٠٤: ص٣٣).

فيما يتعلق بهذه الدراسة تم إعتماد المنهج الكيفي Method Qualitative . يتضمن هذا المنهج الخبرات والمهارات الشخصية للفاعلين الجتماعيين، ويعتمد هذا المنهج على لغة الفاعل الإجتماعي وملاحظة سلوكه، وهو من المناهج التحليلية(العزوي، ٢٠٠٠:ص٨٨-٨٩). يركز المنهج الكيفي على نقل التجارب والخبرات من المبحوثين وصياغتها على شكل معلومات كيفية ونوعية، ففي هذا المنهج لايعتمد الباحث على الأرقام لعرض بيانات الدراسة، بل يعتمد على الجمل والعبارات و يقوم بتحليلها وفقا لأهداف وأسئلة الدراسة.

مجتمع الدراسة

مجتمع البحث يمثل كافة الأفراد والأشياء والأشخاص والعناصر ذات العلاقة بمشكلة الدراسة. أما مجتمع دراستنا الحالية فيتضمن كافة النساء الفيليات اللائي عاصرن أحداث الإبادة الجماعية والتهجير القسري الذي حدث في ١٩٨٠.

عينة الدراسة

عينة الدراسة هي تلك النخبة من المبحوثين الذين تجري عليهم الدراسة وهم جزء من مجتمع الدراسة ويحملون صفاته الأساسية. يلجأ الباحث الى إختيار عينة من مجتمع البحث لغرض جمع البيانات وذلك لعدم قدرته على إجراء الدراسة على كافة مجتمع البحث. وليس من الضروري جمع البيانات من كل فرد في المجتمع من أجل الحصول على بيانات صحيحة في البحث النوعي، بل يكفي إختيار عينة (أي مجموعة فرعية) من المجتمع الأصلي للدراسة، وذلك بحسب أهداف الدراسة كحجم العينة والتنوع والإختلاف (Sarantakos,2013: p167).

بهدف الوصول الى معلومات وافية وعميقة عن موضوع الدراسة، إستعانت الباحثة بإجراء دراسة إستطلاعية عن طريق إجراء مقابلة مفتوحة مع عدد من الشخصيات ذوي الخبرة والدراية من الكورد الفيلية والذين يمثلون جزءاً من عينة الدراسة، وأصبحت الدراسة الإستطلاعية لاحقا أساساً لصياغة أسئلة الدراسة الفعلية وتحديد محاورها المختلفة، ومن ثم توظيفها في المجالين النظري والتطبيقي. تعتبر عينة الدراسة من العينات القصدية وتكونت من (١٤) إمرأة من النساء الفيليات اللائي عاصرن أحداث الإبادة الجماعية والتهجير القسري، وعن طريق إجراء مقابلات شبه مقننة، تم جمع بيانات الدراسة، الا أنه ونظراً لبعد وإختلاف أماكن إقامة أفراد العينة (أربيل، بغداد، بريطانيا، خانقين، سوران) فقد قمنا بجزء من المقابلات بصورة مباشرة ووجها لوجه، والجزء الآخر منها تم إجرائه عن طريق مكالمة هاتفية قامت الباحثة مسبقاً بالإستئذان من عينة الدراسة لتسجيلها ومعاودة الإستماع اليها لاحقاً لغرض إستنباط المعلومات منها وتحليلها. كذلك تم صياغة أسئلة الدراسة على شكل إستمارة جوجل، وتم إرسالها الى البعض من

أفراد العينة، وقد قاموا بالرد عليها كتابة. تراوحت أعمار أفراد العينة بين ٥٥-٧٠ عاماً، أما مستواهم التعليمي كان متنوعاً فمنهم من يحمل شهادة البكالوريوس والماجستير وكذلك الدكتوراه. وقد قامت الباحثة بإستخدام رموز حرفية للعينة الإستطلاعية ورموز رقمية للعينة الفعلية بدلا من الإشارة الى الأسم الكامل للمبحوثين وذلك بموجب أخلاقيات الدراسة العلمية الأكاديمية التي توجب على الباحث الحفاظ على خصوصية المبحوثين وأمانة البيانات وإستخدامها لغرض البحث العلمي فقط.

الإبادة الجماعية والتهجير القسري

الإبادة الجماعية هي سياسة القتل الجماعي المنظمة التي تمارسها الحكومات ضد مختلف الجماعات والطوائف والشعوب، وهي إرتكاب أي فعل من الأفعال التالية بقصد القضاء على جماعة بشرية وتدميرها كلياً أو جزئيا على أساس القومية والعنصرية أو الجنسية، الأثنية، الدينية، العرقية والمذهبية، أو يعد من الجرائم التي تُرتكب ضد الإنسانية وهو ممارسة ممنهجة تنفذها الحكومات أو قوى شبه عسكرية أو مجموعات متعصبة تجاه مجموعات عرقية أو دينية أو مذهبية بهدف إخلاء أراض معينة وإحلال مجاميع سكانية أخرى بدلاً عنها. (Feierstein, 2014: p15). ويكون التهجير أما مباشراً، أي ترحيل السكان من مناطق سكناهم بالقوة، أو غير مباشر، عن طريق دفع الناس الى الرحيل والهجرة بإستخدام وسائل الضغط والترهيب والإضطهاد. (عامر، ٢٠١٤). الإبادة الجماعية والتهجير القسري من الجرائم التي ترتكبها السلطات السياسية ضد شرائح ومجموعات إجتماعية معينة قد تراها تهديداً وخطراً تهدد وجودها، أو مصدراً للمعارضة والتمرد على سياستها القمعية والدكتاتورية، وهذا ماقام به النظام البعثي البائد ضد الكورد الفيليين، فقد إرتكب كلتا الجريمتين وفقا لسياسة ونهج شوفيني وعلى مراحل عدة، كانت عواقبها ونتائجها مأساوية عميقة على الكورد الفيليين عموماً، وعلى المرأة الفيلية خصوصاً، وهذا ماسنركز عليه في دراستنا الحالية.

من هم الكورد الفيليون؟

يمثل الكورد الفيليون في العراق مجموعة من العشائر والقبائل التي تنتشر في المنطقة الممتدة بين نهر دجلة والحدود العراقية- الإيرانية من جهة، والطريق الممتد بين خانقين وجلولاء والى محافظة ميسان من جهة أخرى. منذ تأسيس الدولة العراقية في ١٩٢١ وجد الكورد الفيليون أنفسهم جزء من المجتمع العراقي نظرياً، أرضهم إمتداد لأرض العراق، لكنهم من الناحية الفعلية يعدون بنظر الحكومات العراقية جسماً غريباً يهدد الأمن القومي ولابد من إستئصاله، وأخذ هذا الموقف العدائي السلبي تجاه الكورد الفيلية بالتبلور مع إستقرار الدولة العراقية. (يەكێتی پەرلەمانتارانی كوردستان، ٢٠٠٤: ل ٧٤).

كان لحزب البعث نهجاً فاشياً وسياسة شوفينية تهدف لتدمير كافة الجهات المعارضة لسياسته ونهجه الدكتاتوري الظالم، وقد نال الشعب الكوردي القسط الأكبر من تلك الحرب التي تنوعت فيها الوسائل والآليات البشعة التي لم يسلم منها أحدهم. لقد كانت الحرب تستهدف تدمير كوردستان وتشريد شعبها المعارض وإزالة وجوده القومي والتأريخي، وذلك بشن حملات الإرهاب والتصفية الجسدية. (كريم، ١٩٩٨: ص٣٢٧).

وقد قام النظام البعثي البائد بصياغة تشريعات قانونية إستهدف فيها الفيليون كما في الدستور البعثي الصادر في ٢١ أيلول ١٩٦٨. وتحقيقاً لسياساته العنصرية والشوفينية ضد الكورد وتصفيته وإنهاء وجوده القومي، وضع أسساً لتنفيذ تلك السياسات والآليات التي تجاوزت كل سابقاتها بوحشيتها ودمويتها. وقد دشن أولى مسارات سياسته بترقين الوجود القومي الكوردي وذلك بتهجير أكثر من سبعين ألف مواطن عراقي من الكورد الفيليين الى الحدود الأيرانية بين ١٩٧٠-١٩٧١. (الفيلي، ٢٠١٢:ص١٨٨).

ينتمي الكورد الفيليين لخط الدفاع الكوردي الأول لأنهم كانوا الطبقة الأكثر غِنى في العاصمة بغداد وسيطروا على الإقتصاد العراقي ومولوا الثورة الكوردية بالمال. فقد هُجِر قسرياً أكثر من ١٣٠,٠٠٠ كوردي فيلي من العراق بين ١٩٦٩-١٩٨٨. أرسل نصفهم بعيداً الى إيران بعد ١٩٨٠. كان لحزب البعث دوافع وأسباب كثيرة لتصفية الكورد الفيليين من بينها الدوافع الإقتصادية والسياسية والمذهبية. فيما يتعلق بالدافع المذهبي والطائفي، فقد برر حزب البعث البائد جريمته بإعتبار الكورد الفيليين من التبعية الإيرانية كونهم يعتنقون المذهب الشيعي، فقد نالوا حصة الأسد من الحرب ضدهم من قتل وسجن وتعذيب وتصفية جسدية، علاوة على الإستيلاء على أموالهم وممتلكاتهم وتهجيرهم وأبعادهم من العراق. (سليم ويونس، ٢٠٢١، ص٢٥٩).

بدأت عمليات التهجير في ١٩٨٠/٤/٤ حيث تم تهجير العوائل بعد مُصادرة ممتلكاتهم ووثائقهم الشخصية (هوية الأحوال المدنية، شهادة الجنسية العراقية، دفتر الخدمة العسكرية، رخصة القيادة، هوية غرفة التجارة بالنسبة للتجار، هوية إتحاد الصناعات العراقي بالنسبة لأصحاب المشاريع الصناعية، وثائق الممتلكات، الشهادات المدرسية والجامعية. (الفضل، ٢٠٠٤: ص ٦٧-٦٨).

لقد وجد النظام البعثي في الفيليين خطراً يهدد وجوده وأمنه السياسي والإقتصادي والقومي، لذا فقد عمل على محاربتهم بشتى الوسائل، وفقاً لقوانين قام بتشريعها من خلال إستغلال سلطته السياسية بهدف تجريدهم من إستحقاقاتهم في المواطنة والإنتماء القومي والإثني والإستيلاء على كافة ممتلكاتهم، وتدمير البنية الإقتصادية للكورد الفيلية التي كانت من أبرز مصادر القوة للكورد الفيلية، ومن أقوى نقاط ضعف النظام البعثي.

المكانة الإقتصادية للكورد الفيليين كدافع للإبادة الجماعية والإبادة الجندرية

نشط الكورد الفيليون في مجال التجارة وأرتقى العديد من حرفييهم الى تجار، شكل الكورد الفيليون نسبة لايستهان بها في الغرف التجارية العراقية، في الستينات والسبعينات من القرن المنصرم، كما شكلوا نسبة كبيرة من تجار الجملة وفي مختلف السلع والخدمات، كما وأقاموا العديد من المشاريع الصناعية والغذائية والتي صودرت منهم فيما بعد.(الفيلي، ٢٠١٢:ص ٢٠٤). لعبت المكانة الإقتصادية المرموقة للفيليين دوراً كبيراً في جريمة الإبادة الجماعية الى جانب مساهمتهم الكبيرة في الحركة القومية الكوردية.

تعد القوة الإقتصادية جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الفيلية والفكر الفيلي، بل وإنها أحد الركائز الرئيسية التي يعتمدها الفيليون في حياتهم مهما كانت طبيعة الظروف الإجتماعية والسياسية المحيطة بهم، لذا فقد كانوا مصدراً للخطر على السلطة السياسية للنظام

Original Article |**DOI:** https://doi.org/10.14500/kujhss.v6n2y2023.pp265-276

البعثي، بل ويمكن القول بأن تلك القوة الإقتصادية كانت سبباً رئيسياً وراء جريمة الإبادة الجماعية التي أرتكبت بحقهم. يقول السيد (ف.ر) ***:[الإقتصاد من أحد ركائز الثقافة الفيلية التي تنشريها عن طريق التنشئة الإجتماعية، فمهما كانت الظروف المحيطة بنا، نستجمع قوانا ونوظفها من أجل تقوية مكانتنا الإقتصادية، الفكر الفيلي فكر إقتصادي بحت من الطراز القويم يقوم على الحنكة والمهارة في تدبير إدارة الأمور الإقتصادية، ودراية عالية في أمور التجارة الرائجة والمُربحة.....].*** حتى وإن تعرضت المكانة الإقتصادية للأضرار، فما دامت جزءاً لا يتجزء من الثقافة الفيلية، فسوف تنعش نفسها بمجرد أن تسنح الفرصة، بل أن الفيليون هم من يخلقون الفرص ويغيرون مسارها لصالح قناعاتهم وسبل تقوية مكانتهم الإقتصادية.

نكاد أن نجزم بأن القوة الإقتصادية والسيطرة على الأسواق التجارية من قبل الكورد الفيليين كانت من إحدى الدوافع الرئيسة للإبادة الجندرية إن صح التعبير، كما يضيف الكاتب السيد (ف.ر) في هذا الصدد قائلاً: ***[الرجل الفيلي لا يعترف بالعمل في المجال الحكومي، بل ويحتقره، لذلك فإن النسبة الأكبر من الرجال الفيلين يعملون في مجال المهن التجارية، أما المجال الحكومي فالنساء الفيليات يعملن فيه بنسبة أكبر مقارنة بالذكور.....إن الثقافة الإقتصادية الفيلية لاتقتصر على مجال الإدخار والإستثمار وجمع الثروة، بل حتى في مجال الإستهلاك، فالكوردي الفيلي مهما كان مستوى إنتمائه الديني، فهو لا يؤمن برمي النقود على الأضرحة في كربلاء والنجف، بل يساعد بها الفقراء والمعوزين وبسرية تامة.....].*** القوة الإقتصادية كمبدأ للحياة وكفلسفة يؤمن بها الكورد الفيلية، تجعلهم يسعون الى المحافظة عليها وإسترجاعها متى ما أصبحت هشة وتعرضت لخلل، وهذا ما يجعلهم مصدراً للخطر على السلطات السياسية القمعية الدكتاتورية، مما يدفعها الى تدمير تلك المكانة والسعي للقضاء عليها أينما ظهرت والحيلولة دون نهوضها من جديد تجنباً للخطر الذي يصيبها في وجود تلك القوة. وكما هو واضح في جريمة الإبادة الجماعية، فقد قام جزءاً كبيراً منها على الإبادة الجندرية.

تعد الإبادة الجندرية من إحدى أنماط الإبادة التي تقوم الحكومات بإتباعها ومن خلالها يتم القضاء على جنس معين وغالباً مايكون الذكور هم المستهدفون في هذه العملية. (جونز،٢٠١٨: ص٥). إن أكثر من ٥٠٠٠ رجل مدني بين الأعمار ١٦-٤٠ قد تم إحتجازهم في سجون العراق المختلفة ربما كرهائن من أجل منع الكورد الفيليين من الإستدعاء الى الجيش الإيراني أو لترهيب الفيليين، ولم يتبين مصيرهم لغاية الآن. (المؤتمر الدولي حول الإبادة الجماعية ضد الشعب الكوردي، ٢٠٠٧: ص ٩٧). حيث قامت الأجهزة الأمنية بتزويد الإستخبارات العسكرية بأسماء العوائل التي تم تهجيرها الى خارج العراق ليتم التعامل مع أبنائهم من الذين كانوا يؤدون الخدمة العسكرية، وقامت تلك الأجهزة بحجز أبنائهم وعدم السماح لهم بمرافقة عوائلهم، فقد قرر مجلس قيادة الثورة الذي كان يعد أعلى سلطة أمنية في العراق حيث جاء في كتابه المرقم ٢٢٤١/٣٤ في ٢١ عام ١٩٨٢:- سحب العسكريين المُهجرة عوائلهم من وحدات الجيش وإعفائهم مما بقي من خدمتهم وإرسالهم الى مديرية الأمن العامة للتصرف بهم. وقد تم سحب أكثر من خمسة عشر الف عسكري من الذين كانوا يؤدون الخدمة العسكرية وأودِعوا في السجون والمعتقلات، ولازالت مصائرهم مجهولة لحد الآن. وقد قامت السلطة بإخراج البعض منهم لإستخدامهم كدروع بشرية لفتح حقول الألغام كما أستخدم البعض الآخر في التجارب على الأسلحة الكيمياوية والجرثومية. (المؤتمر الدولي حول الإبادة الجماعية ضد الشعب الكوردي، ٢٠٠٧: ص ١٤٠).كل هذه البيانات توضح مدى كون الإبادة الجماعية للكورد الفيلية هي أشبه ماتكون بإبادة جندرية ركزت على الشباب في سن الخدمة العسكرية والتجار الذين كانوا يتبوؤن مكانة تجارية مرموقة في الأسواق التجارية المحلية والعالمية. إن جريمة إحتجاز التجار الكورد الفيليين وتجريدهم من أوراقهم الثبوتية ومصادرة أموالها المنقولة وغير المنقولة ونفيهم الى الحدود الإيرانية خير دليل على ذلك.

لقد نفذت عمليات تهجير ١٩٨٠ بمنتهى القسوة إذ جرى فيها فصل الأبناء من الشباب وحتى الصبية عن أمهاتهم وآبائهم وزُجَ بهم في سجون ومعتقلات النظام المُباد المنتشرة في جميع محافظات العراق، ولقد قدرت أعداد من طالتهم تلك الحملة بأكثر من ستمئة الف من الكورد الفيليين في العراق، بحسب الأرقام المعلنة والعدد أكبر من ذلك في واقع الأمر؛ وكذلك جرت عمليات تفريق الزوجات عن أزواجهن قسراً، وتطليق الزوجة الفيلية أو الزوج الفيلي، فضلا عن منعهم من إكمال الدراسات العليا، وكان من ضمن إجراءات الحملة، إن نظام الحكم أصدر أمراً بجمع مئات من تجار العراق في بغداد يوم ١٩٨٠/٤/٧ بحجة التباحث في إجراءت إقتصادية تتعلق بعملهم، وكان مئات من التجار الكبار من الكورد الفيليين في تلك القاعة التي ضمت نحو الف تاجر من حاملي هوية غرفة التجارة. (الأزرقي، ٢٠٢١).

دور ومكانة المرأة في العائلة الفيلية

كانت المرأة الفيلية تتمتع بشخصية قوية وإرادة وعزيمة تؤهلها لخوض معترك الحياة بجرأة وواقعية أستمدتها من عملية التنشئة الإجتماعية المتبعة في الثقافة الفيلية والتي تؤهلها لخوض معترك الحياة بصلابة وحزم تكاد لاتختلف عن شجاعة الرجل وعزيمته.

تحدث لنا الكاتب السيد (ف.ر) عن دور المرأة في الأسرة الفيلية قائلا: ***[إن الثقافة الشائعة لدى الكورد الفيلية تركز على علو شأن المرأة الفيلية الذي من شأنة أن يرتقي بشأن الأسرة من كافة النواحي وخصوصاً الإقتصادية والإجتماعية، فهي عماد الأسرة الفيلية والعائلة التي لاتوجد فيها إمرأة لا يوجد لديهم من يدبر شؤونهم الإجتماعية والحياتية.....].*** فيما يتعلق بدورها في الحفاظ على مكانة الأسرة وأستمرارية العلاقات الأسرية بنجاح يزيد قائلاً: ***[تتمتع المرأة الفيلية بدرجة عالية من الحكمة في إستيعاب الظروف والأمور التي من شأنها أن تؤثر على الأواصر الأسرية وخصوصا العلاقات الزوجية، فهي تؤمن بسياسة الإصلاح في التعاطي مع الهفوات التي قد يرتكبها الرجل والتي تعد إنزياحا عن مسار ونهج الأسرة، فهي بارعة في إعادة الأمور الى مجراها الطبيعي بحكمة متناهية.....].*** إن المرأة في الثقافة الفيلية تتمتع بمكانة مميزة عن باقي النساء في الثقافة السائدة في المجتمع العراقي، فقوة شخصيتها وشجاعتها وقدرتها العالية على التصرف بحكمة في أكثر الأمور حساسية وخطورة، كلها صفات إكتسبتها من سُبل التنشئة الإجتماعية المتبعة من قبل الكورد الفيلية في تربية الإناث والقائمة على تحمل المسؤولية والثقة بالنفس والإعتماد على الذات، إضافة الى إيمانها بقدسية الروابط العائلية والأسرية

التي نجدها من الأركان المهمة في الثقافة الفيلية. إلا أن قوة الشخصية التي تمتع بها المرأة الفيلية تجعلها في بعض الأحيان أقرب ماتكون الى الشخصية المتسلطة والتي قد تفرض إرادتها في معظم الأحيان إن لم يكن جميعها، كما يذكر الكاتب الصحفي (ض،ف) قائلاً: ***[على الرغم من إن قوة شخصية المرأة الفيلية كانت ولاتزال من مقومات ديمومة وإستمرارية النسيج الفيلي،إلا أن شخصيتها المتسلطة قد تُلغي شخصية الرجل في الكثير من العلاقات الأسرية والزوجية، لقد تسبب هذا أحيانا في عزوف الرجل الفيلي عن الزواج من المرأة الفيلية لشدة تسلطتها، على الرغم من تعارض هذا مع العادات السائدة في المجتمع الفيلي والتي تحبذ الزواج الداخلي وتشجعه.....].***

إن قوة الشخصية التي نجدها في المرأة الفيلية تؤكد أنها كانت من مقومات نجاح المرأة الفيلية في إعادة التوازن الى الأسرة الفيلية على الصعيد الإجتماعي، إلا أنه وعلى الصعيد الشخصي قد يكون سبباً في تجنب الزواج من الفيلية وللسبب ذاته الا وهو قوة شخصيتها. الا أنه ومن جهة أخرى يذكر الكاتب والصحفي السيد (ف.ر) رأياً مخالفاً لهذا الرأي قائلاً: ***[ليس هناك من يضاهي المرأة الفيلية في براعتها وحكمتها في إدارة الشؤون الأسرية وخصوصا الإقتصادية منها، فهي من تُدير وتدبر كافة الأمور المالية وهي التي تقيم وتقوي البنية التحتية للأسرة، إن هذه الميزة تجعلنا كرجال فيلين غير مستعدين للزواج من إمرأة غير فيلية، فما من منافس لها في هذا الشأن.....].*** نستطيع القول بأن المرأة الفيلية وكغيرها من النساء الأخريات تتمتع بمميزات وعيوب، إلا أن الحكم على تلك الصفات ومدى كونها إيجابية أم سلبية يكون نسبياً ويختلف من شخص الى آخر بحسب رؤيته للمسألة والأولويات التي يؤمن بها وفلسفته في الحياة. ولكن في جميع الأحوال، فمكانة المرأة في الثقافة الفيلية مكانة مرموقة ومميزة كما ذكر لنا الكاتب والصحفي (ض،ف) عن مكانة المرأة في الأسرة الفيلية قائلاً: ***[المجتمع الفيلي أساسه قائم على المرأة وليس الرجل، وهي مقدسة بكل ماتحمله الكلمة من معاني، ومن عادة الرجال أنهم يتفاخرون بأمهاتهم وتصبح ألقابهم على أسماء أمهاتهم أي فلان أبن فلانة ويصبح معروفاً بهذه الكنية لدي الجميع.....].*** على الرغم من كون الكورد الفيلية عراقيين تشربوا الثقافة الإجتماعية السائدة في المجتمع العراقي القائم على السلطة الأبوية الذكورية التي تجعل من الرجل في مرتبة أعلى من المرأة في الكثير من النواحي الأسرية والحياتية والإجتماعية إن لم يكن جميعها، الا أن الثقافة الفيلية وبحسب آراء أفراد العينة تتمتع بخصوصية مميزة بشأن المرأة ودورها ومكانتها في الأسرة الفيلية، فالجميع يعترف بكون المرأة هي أساساً للأسرة ومن شأنها الإرتقاء بالأسرة والمحافظة على كيانها ووجودها وتقوية مكانتها في المجتمع.

فيما يتعلق بالمشاركة السياسية، فقد استطاعت المرأة الكوردية الفيلية المساهمة وبشكل فعال في الكفاح التحرري الكوردي والوصول الى المراكز القيادية كالسيدة زكية إسماعيل حقي التي كانت رئيسة لإتحاد نساء كوردستان وثاني إمرأة كوردية تتبوء عضوية اللجنة المركزية في الحزب الديمقراطي الكوردستاني، وتعد هذه ريادة تأريخية على مستوى عال.(الفيلي، ٢٠١٢: ص ٢٠٠). كما يشهد التأريخ الى الدور النضالي البارز للشهيدة الفيلية ليلى قاسم لتؤكد للجميع بإن المرأة الكوردستانية لاتقبل ولاترضى بالظلم والقهر والتعدي على وجودها الإنساني والقومي مطلقاً ومهما حاولوا بقوة سطوتهم وجبروتهم الوقوف ضد طموحاتها، الا أنها صرخت عالياً وقالت: إن شأني كشأن الرجال الأوفياء الذين ضحوا بدمائهم الزكية من أجل التصدي لهذا الظلم والإضطهاد اللذان كانا يمارسان بعنجهية ضد الشعب الكوردي من النواحي الإجتماعية والسياسية والثقافية والإنسانية من أزلام السلطة الدموية في بغداد من قتل وسجن وذبح وتعذيب نفسي وجسدي وتهجير قسري.(أحمد، ٢٠١٩). وهذا مابين قوة وقدرة المرأة الفيلية على الخوض في المعترك السياسي الذي كان حكراً على الرجال وقد تمكنت بقوتها وإصرارها الخوض فيه إيمانا بقضية شعبها وإثباتا منها على قدرتها على المشاركة السياسية والنضال السياسي الفعال في مجتمع ذكوري يكاد لايعترف بالمرأة وفعالية مشاركتها في المجال السياسي.

أما على الصعيد الإجتماعي، فالمرأة الفيلية تتبوأ مكانة مرموقة في الأسرة، فالثقافة الفيلية ترتكز على الدور الهام الذي تلعبه المرأة في الشؤون الإدارية والإجتماعية والمالية للأسرة والتي تعد من أبرز مقومات إستمرارية الأسرة ومن أقوى متطلبات قوة وديمومة الروابط الأسرية والعائلية للكورد الفيليين.

تحليل بيانات الدراسة

يتخصص هذا الجزء من الدراسة بتحليل البيانات التي تم الحصول عليها من خلال إجراء المقابلات مع عينة الدراسة، وسوف نقوم بعرضها وفقاً لثلاثة محاور رئسية تتضمن مرحلة قبل وأثناء وبعد الإبادة الجماعية والتهجير القسري.

المحور الأول/ الأوضاع الإجتماعية للمرأة الفيلية قبل التهجير القسري

كانت مرحلة ماقبل التهجير مرحلة في غاية الصعوبة، فقد عانى جرائها الكورد الفيليون مآسي وصدمات كثيرة وبالغة القساوة، وذلك بسبب الترقب والتوتر والقلق الناجم عن التهديد بالتهجير وإسقاط الجنسية وما الى ذلك من حرب نفسية كانت ولاتزال محفورة في ذاكرة الجيل الذي عاصر تلك الأحداث العصيبة.

تعتبر الصدمة هي ردة فعل تأتي نتيجة حدث غير عادي سواءٌ حدث مع الشخص نفسه أم شاهده، وهو مرتبط بالخطر الحقيقي أو المتوقع حول الحياة والسلامة النفسية والجسدية والإجتماعية للإنسان أو القريبين منه، والذي يسبب ردة فعل شديدة يعبرعنها بالخوف والقلق والعجز والشعور بالرُعب، تترك تلك الأحداث والحالات ترقباً وتوتراً مستمراً وجرحاً نفسياً ومادياً لدى الأفراد الذين يتعرضون لها. (أحمد، ٢٠٠٤: ص٤٢). كتبت ملكشاهي عن هذه المرحلة قائلة: في بداية الأمر ستقف سيارة غريبة أمام بيتك لعدة أيام، ستشعر بعدها بالملاحقة وأنت خارج البيت وفي كل مكان وستنقبض روحك في المرحلة الأولى وتحاول الفرار وستطلب النجدة من كل من حولك.....ستبدأ بقراءة القرآن وتحتضنه وأنت نائم، وإن إستطعت أن تغفو سترى في أحلامك بقية المراحل..... (ملكشاهي، ٢٠٢٢). يبين هذا النص عمق القلق والمأساة التي تعرض لها الكورد الفيليون وخصوصاً المرأة، فهي عادة ماتكون الأكثر حساسية وترقباً للظروف المحيطة بها، وكما هو دارج في مجتمعنا فهي تنتظر توفير الحماية من العائلة والأهل وخصوصاً الرجال منهم، الا أن هذا المشهد التراجيدي يجسد إنعدام الشعور بالأمان وفقدان الأمل

Original Article |**DOI:** https://doi.org/10.14500/kujhss.v6n2y2023.pp265-276

بصورة خرجت عن إرادة البشر ولا قدرة لأحد على توفيرها بنظرهم سوى الخالق الذي يمثل السلطة الكونية العليا لديهم، فيلجأون اليه بحثاً عن الأمان. تحدثت المبحوثة (١) عن تلك المرحلة قائلة: ***[كانت مرحلة كلش صعبة علينة، كلما يندك الباب عبالنة راح يجون ويلزمونة ويهجرونة، مرات كنا نبات بالسيارة ومن يطلع النهار يجون الجيران ويكولون أنزلوا تره راحوا وماأجوا لبيتكم.....].*** الهروب من مكان الى آخر والمبيت في وضع قلق وداخل السيارة إستعداداً للخطر الذي يحوم حولهم، كان من أبرز المعاناة ومن السمات البارزة لتلك المرحلة، عذاب وصراع نفسي يتكرر كل يوم وفي كل لحظة في إنتظار ساعة الصفر.

تقول المبحوثة (٢): ***[لقد عشنا مرحلة رعب ومظالم وتهديد وتخويف لدرجة كنا نتمنى أن يتم التهجير و نخلص.....].*** من شدة التوتر والقلق والترقب، أصبح التهجير أفضل من إنتظاره، إن هذه المعاناة أشبه بما يسمى بهدوء ماقبل العاصفة، فقد بات الكورد الفيليون يعلمون بأن التهجير أمر حتمي لا مفر منه، لكن الظروف والملابسات المحيطة بكيفية التهجير ومراحله كانت غير واضحة المعالم ومن غير الممكن التكهن بها، كانت هذه المرحلة أشد وأصعب بالنسبة للنساء الفيليات نظراً لورود المعلومات بنية النظام البعثي بعزل الشباب والرجال عن النساء والأطفال وإحتجازهم، كما تقول المبحوثة (٤): ***[كيف لي أن أوصفها:؟إنها أصعب مرحلة مرت بنا بحيث كانت أصعب من التهجير نفسة، مرحلة رعب وهزيمة وتخفي من مكان الى آخر، لقد كنا قلقين على الرجال في العائلة، فبعضهم كان قد تم إعتقالة ولانعلم شيئاً عنه، والبعض الآخر ظل متخفياً.....].*** تقول المبحوثة (٦): ***[قلق نفسي وتوتر وإختفاء وهروب من بيت الى آخر، كل يوم تقريبا نقوم بتوزيع أغراضنا في بيوت الجيران أملاً أن نستطيع أن نقلل خسائرنا، لقد كان جيراننا خير عون لنا، ولم يتركوا فرصة الا وأستغلوها لمساعدتنا والوقوف بجنبنا.....].*** لقد ذكرت العديد من النساء من أفراد عينة الدراسة أنهم كانوا يلجأون الى الجيران لمساعدتهم ونقل بعض من الأثاث المنزلية الى بيوتهم كي لا يتم مصادرتها عند التهجير، وقد تحدث العديد منهم عن كم التعاطف والمساندة التي تلقوها من الجيران والمعارف في تلك المرحلة. أن سياسة النظام البعثي البائد لم تتمكن من تشويه العلاقات الأجتماعية القائمة بين الكورد الفيلية وجيرانهم من العرب والقوميات الأخرى.

تقول المشتركة (١١): ***[مصيرنا چان مجهول، عبالچ حرامية ودانخاف لا يلزمونة،چنا متأكيدن من التهجير، بس والله حرب الأعصاب هذي دمرتنا، خاصة أحنة النسوان، چنة مسؤلين من رياجيلنة، وهسة همة هم مايكدرون يحمونة، ماكو چارة بعد.....].*** فقدان الأمل المصحوب بالخوف والتوتر والقلق وإنعدام الأمان، الذعر والترقب، مشاعر مشتركة تتكرر لدى كافة أفراد العينة في مرحلة ماقبل التهجير، تجسد عمق المعاناة التي شهدها الفيليون عموما والمرأة خصوصا، تقول المشاركة (١٢): ***[في كل يوم مر علينا كان دهر بأكمله، كانت ساعات اليوم الواحد تتجاوز الأربع وعشرين ساعة بكثير، أختلط بنا الليل والنهار، كالمحكوم بالإعدام، يرى أمامه حبل المشنقة، وفي كل ساعة يؤجل تنفيذ الحكم، معاناة نفسية لا يشبهها شيء، أحيانا كثيرة كنت أتمنى لو كنت رجلاً، فيلزموني ويعدموني وأخلص من هذا العذاب المر مثل الزقنبوت....].*** يتبين هنا أن الإبادة الجماعية للكورد الفيلية كانت أشبه بإبادة جندرية ركزت على الرجال في الإعتقال والسجن، والنساء والأطفال في التهجير القسري، لذا باتت المرأة الفيلية ترى أنها لو كانت رجلاً لما شهدت معاناة إنتظار تنفيذ الحكم الذي تراه أقل شدة من الإنتظار ومعاناة الترقب. تقول المبحوثة (١٣): ***[من شدة الرعب والفزع الذي كنا نعيشه، أصيب والدي بحالة نفسية صعبة جداً، فكلما يسمع طرق الباب في وقت متأخر من الليل كان يتبول لاإرادياً، فتقوم والدتي مسرعة لتنظيفه في هدوء تام، كان القلق الذي ينتابها عميقا، لكنها كانت تخفيه لتحافظ على عزيمتنا.....].*** إن هذه المعاناة أشبه بسلاح فتاك يدمر كل مافي الأنسان من إرادة، بل ويمنح من كانوا يعدونهم الأضعف، هم الأكثر قوة، فكما هو معروف في مجتمعنا، السيطرة والتحكم في المشاعر والقدرة على المواجهة هي من الصفات الذكورية، الا أن الفزع وعدم التكهن بخطورة الأساليب التي يمارسها النظام البعثي ضدهم، جعلت العزيمة تنثني والإرادة باتت مشلولة لدى أكثر الناس قوة وعزيمة، فتصبح المرأة الفيلية رغما عنها، هي الأقوى وهي من تساند أسرتها وأهلها وتواسيهم، وتكبت مشاعر الخوف والقلق والتوتر كي لا تقلل من عزيمتهم، وهنا تكمن قوة الشخصية والإرادة التي تملكها المرأة الفيلية وحتى تلك الظروف الوحشية التي عاصرتها، لم تتمكن من اضعافها.

كانت مرحلة ماقبل التهجير القسري هي أشبه بقنبلة موقوتة قد تنفجر في أي لحظة، ولابد لهم من الترقب أملا في التقليل من الأضرار الناجمة عن إنفجارها. لقد كانت مرحلة صعبة عانت فيها المرأة الفيلية صراعات مريرة وعميقة بين الخوف والقلق والتهديد بالتهجير وإعتقال الأهل والأقارب والهروب والتخفي من مكان الى آخر أملا في العثور على الأمان الذي أصبح عملة صعبة بعيدة المنال في زمن الشح والأزمات الإقتصادية والحروب الدامية.

المحور الثاني/ أوضاع المرأة في أثناء الإبادة الجماعية والتهجير القسري

كانت هذه المرحلة من المراحل التي عانى خلالها الفيليون من مختلف الفئات العمرية والطبقات الإجتماعية والثقافية الكثير من المآسي، لقد أصبح التهجير أمراً واقعا يعيشونه. لقد أخذت موجة التهجيرات بالتوسع والإمتداد وطالت جميع الشرائح من الكورد الفيليين وبكافة طبقاتهم الفكرية والإقتصادية والإجتماعية ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم ومن ثم تهجيرهم عن طريق المنظمات الحزبية واللجان الأمنية، وقد كانت تتم بسرية تامة لا يعلمها المجتمع العراقي وذلك بمداهمة البيوت ليلاً بحجة الإستفسار والإستدعاء في الشعبة الأمنية، مع تجريدهم من كافة مستمسكاتهم الثبوتية بدون السماح لهم بجلب أي غرض شخصي يخصهم. (ملكشاهي، ٢٠٢٢: ص ٤٨-٤٩). الا أن هناك عوائل بقيت في العراق ولم تُهَجَر الى إيران، لقد عانت تلك العوائل كثيراً حتى سقوط صدام في ٢٠٠٣، كان هاجس الخوف والقلق والملاحقات الأمنية والجرودات الشهرية التي تقوم بها الفرق الحزبية وإجبارهم للألتحاق بالجيش الشعبي والزيارات المتكررة الى سجن أبوغريب ونقرة السلمان التي تقع في التخوم الغربية ومعاناة الطريق وأساليب حرس السجون، كل هذه الأحداث تلاحقهم يوميا كالكوابيس. (ملكي، ٢٠١٩، ٥١).

تقول المبحوثة (١): ***[أجتنة أخبار أنه كرايبنة و زوجة حماي موجودين بالسجن، وأكلهم وشربهم مو زين، وحتى لبس ماكو، رحنة ناخذلهم أشياء بالواسطة طبعا، بس والله شفنة الويل من أهاناتهم النا، وطول الطريق خايفين لأن أحنة نسوان فيليين ولوحدنة، هواية أتحرشوا بينة وأهانونة.....].*** في هذه المرحلة ورغم كل الظروف، كانت المرأة الفيلية تتعرض لأنواع مختلفة من المضايقات والإهانات، والتحرش كان من بينها، فالمرأة وفي الحالات الطبيعية تتعرض للتحرش، أما في حالات تفكك النسيج الإجتماعي وغياب الرجل تكون هذه الحالات في تزايد مستمر خصوصاً من قبل الجهات ذات السلطة التي ترى التحرش سلوكاً مسموحاً تمارسه كنوع من الإهانة والعقاب والثأر. تقول المبحوثة (٣): ***[يامعودة ليش هي بس تحرش، والله إهانات وحجي سخيف نسمعه مانتحمل، والتحرش بفلس، حتى محاولات إغتصاب شفنه، بس قسم الله سترهة وياهم، وقسم أنلاصت عليهم وأغتصبوهم، الجحوش كانوا كلش نجسين وياة وترة همة كانوا يضايقونة أكثر من البعثيين.....].*** تختلف أنواع المضايقات التي تعرضت لها المرأة الفيلية فبدأت من أبسطها كالسب والشتم والإهانات، الى أن وصلت لأقصاها كالأغتصاب. إلا أن التكتم عن التحرش والإغتصاب في الثقافة الشرقية يعد سلوكاً إجتماعياً دارجاً ولكن أسبابه مختلفة، ومعضمها مرتبط بالتربية والتنشئة الإجتماعية التي تطلب من المرأة التكتم قدر المُستطاع، خوفا من القاء اللوم عليها، ولكن في كثير من الأحيان يكون هذا التكتم رمزاً لقوة المرأة وقدرتها على السيطرة على زمام الأمور. تقول المبحوثة (٦): ***[أصعب مرحلة مرت بنا في حياتنا، لقد كان الجحوش هم الذين يضايقوننا أكثر من أزلام البعث متحرشون أوغاد بلا ضمير وما تتصورين شلون چانوا يعاملونة بنذالة، وين مايشوفون بنية الا ويضايقوهة....].*** إن المضايقات التي تتعرض لها المرأة في مثل هذه الحالات غالباً ماتكون نابعة من فكرة كون المرأة موضوعا جنسياً من جهة، وكونها الكائن الأضعف مُقارنة بالرجل خصوصاً إذا كانت بمفردها، أو لم تكن برفقة رجل يحميها من المضايقات، فهنا تتحول المرأة الى موضوع جنسي صرف، أو ككائن ضعيف لاحول له ولاقوة بنظرهم، فتنهال عليها المضايقات والإهانات. تقول المبحوثة (٧): ***[تعرضنا انا وأختي للإغتصاب، وهي بقيت في حالة نفسية سيئة جدًا فقدت النطق لمدة طويلة بعدها...].*** لقد كانت المضايقات تلاحق المرأة الفيلية أينما حلت، فمن جهة كانت تعاني من المشاكل والمسؤوليات التي وقعت على عاتقها بسبب الإبادة الجماعية والتهجير القسري، ومن ناحية أخرى أصبحت مسؤولة عن حماية نفسها وعائلتها أمنياً وإجتماعياً. تقول المبحوثة (١١) : ***[لم نُهجر، ولكن المضايقات والإزعاجات كانت تلاحقنا في كل مكان، في الشارع والجامعة وكل مكان.....].*** في تلك المرحلة تعرضت المرأة الفيلية الى سلسلة من المضايقات والضغوط النفسية والإجتماعية بحيث حاصرتها في حياتها العائلية ومجال العمل والدراسة ومن كل الجهات، إلا أنها لم تقف على ذلك، بل طالت علاقاتها الأسرية والعائلية. فقد تم التفريق بينها وبين زوجها غير الفيلي وحرمانهم من الزواج قسراً، وقد اضطر بعض العراقيين الى تطليق الزوجة الفيلية. (بابان، ٢٠٢٠). فمن أبشع الجرائم الإنسانية إجبار الرجال المتزوجين من كورديات فيليات على تطليق زوجاتهم مقابل مبالغ مالية في حال طلاق زوجته أو في حال تهجيرها وتهجيره معها أو إعتقاله في حالة الرفض.(الأزرقي، ٢٠٢٢).

تقول المبحوثة (١٣): ***[رأينا حالات مأساوية كثيرة من هذا النوع، صديقتي كانت متزوجة من رجل غير فيلي، طلقوهة غصب، وهجروهة وهو بقى بالعراق وأخذ مبلغ كبير كتعويض.....].*** وتقول المبحوثة (١٤): ***[مرينة بأكثر من حالة من هذا النوع، كان الرجال مضطر يطلق، ومرات من يرفض يرمرونة ويدمرون حياته، وثالي ينجبر يطلق.....].*** وتقول المبحوثة (١١) : ***[لقد كان النظام الدكتاتوري المباد على دراية تامة بقدسية المرأة الفيلية في مجتمعها، فضربها في الصميم، لذلك أصدر النظام المقبور قرار مجلس قيادة الثورة رقم (٤٧٤) في ١٩٨٠ السيء الصيت الذي نص على أن يصرف للزوج العراقي المتزوج من إمرأة من التبعية الفيلية مبلغ قدرة ٤٠٠٠ دينار إذا كان عسكرياً، و ٢,٥٠٠ دينار إذا كان مدنياً في حالة طلاق زوجته أو في حالة تهجيرها الى خارج العراق....].*** إن كافة تلك الأحداث والمآسي التي مرت بها المرأة الفيلية دليل على أن المعاناة التي شهدتها من قبل النظام البعثي كانت معاناة مزدوجة، مرة لكونها فيلية، ومرة لكونها إمرأة. فقد قام النظام البائد بتدمير الأسرة الفيلية من خلال تحطيم و تدمير المرأة الفيلية التي تعتبر عماد الأسرة وعمودها الفقري، فحياتها الشخصية والزوجية والعائلية والدراسية والوظيفية لم تسلم من شرور النظام البعثي.

تعد الأدوار الجندرية بناءات إجتماعية تقوم على توزيع الأدوار الإجتماعية لأفراد المجتمع على أساس الجنس وليس على أساس القدرة أو إمكانية القيام بالعمل. و تقوم على تصنيف السلوك الإجتماعي لكل فرد بحسب جنسه ويكون ذلك التصنيف بحسب الثقافة الإجتماعية السائدة في ذلك المجتمع، كأدوار الأب والأم والرجل والمرأة والمعيل والمسؤول عن الحاجات والمتطلبات الإقتصادية والروحية للأسرة والأولاد. (Blackstone, 2003)

يقول السيد (ف،ر): ***[في الظروف الطبيعية، لايجوز للمرأة الفيلية أن تعمل كبائعة متجولة تبيع بعض الحاجيات البسيطة، هذا العمل مسموح فقط للأرملة أو المرأة العجوز.....].*** مايبين أن الأدوار الجندرية في الثقافة الفيلية فيها إستثناءات تشمل الأرامل والنساء المتقدمات في العمر وذلك في الظروف الطبيعية وفي وجود الرجل، وكما هو متوقع، إن تلك الأدوار الجندرية تتغير في غياب الرجل مما يؤكد على الأدوار الجندرية هي كينونات تتشكل في سياقات إجتماعية معينة، وتكون عُرضة للتغير مع تغير السياق الإجتماعي الذي تشكلت فيه.

الأدوار الجندرية ثابتة لاتتغير، إلا أنه في غياب الرجل، تتغير تلك الأدوار وتضطر المرأة لتحل محل الرجل في الكثير من المجالات. لقد كانت المرأة الفيلية صاحبة النصيب الأكبر من المظلومية التي لحقت بالمكون الفيلي، في فقدانها للأبناء والأزواج والتهجير القسري ومرت عليها مشاهد مؤلمة حين رماها النظام البعثي على الحدود الإيرانية وأطفالها في البرد القارس وبين حقول الألغام دون معيل. (الفلاح، ٢٠١٩).

تقول المبحوثة (٢) ***[المرأة تحملت كافة الأعباء لأن الرجال كانوا معتقلين في السجون، وهي تتحمل العمل خارجاً في المعامل وتنظيف ثلوج السطوح وأعمال شاقة أخرى لم تكن معتادة عليها.....].*** ترى نظرية الجندر أن المرأة غير قادرة على القيام بالأدوار والأعمال التي يؤديها الرجل، والسبب يكمن في عدم قدرتها جسدياً أو بايولوجيا، وهذا

Original Article |**DOI:** https://doi.org/10.14500/kujhss.v6n2y2023.pp265-276

دافع لتكوين الأدوار الجندرية في سياقات أجتماعية توزع تلك الأدوار بحسب القدرة البدنية والفكرية لكل فرد على تأدية تلك الأدوار، الا أن مانجده في حالة المرأة الفيلية التي تعرضت وذويها لإبادة جماعية أشبه ماتكون بإبادة جندرية قلبت الأدوار الجندرية رأسا على عقب، لقد أصبحت المرأة قادرة على تأدية كافة تلك الأدوار التي كان الرجل يؤديها وتعتبر من ضمن مهامه بحسب التقسيم الجندري للأدوار الإجتماعية، وهذا مايؤكد لنا أن الأدوار الجندرية هي أدوار تتشكل في سياقات أجتماعية معينة، وتتغير بتغير تلك السياقات والظروف الأجتماعية التي تشكلت فيها. كما تشير باتلر الى الأدوار الجندرية(أدوارالذكورة والأنوثة) بأنها سلوكيات ادائية، نتعلم كيفية أدائها عبر التنشئة الأجتماعية، لذا فهي فعل أدائي تفرضة علنا العلاقة الإجتماعية المعارية السائدة في المجتمع بين الجنسين(Butler,1991: p 34).

تقول المبحوثة (٥): ***[نعم المرأة تحملت أعباء كثيرة بعد أن زجوا الرجال في السجون، ماذا تعمل اذا ماعدهة معيل؟ مجبورة تشتغل أي شغلة حتى لو ماتناسب النسوان.....].*** كذلك تؤكد المبحوثة (٨) الرأي ذاته بقولها: ***[المشكلة الأكبر في العوائل التي أحتجز أبناتها الذكور ومعيلي العائلة، لم يكن أمام الشابات في تلك العوائل سوى إيجاد عمل يمكنهم من زيادة مدخول العائلة، مما اضطر بعضهن للعمل كمنظفات لمداخل الأبنية والأزقة وهن خريجات جامعات.....].*** هذا دليل على تحول الأدوار الجندرية بمجرد غياب الرجل، فالمرأة الفيلية أصبحت تقوم بكل تلك الأعمال التي من شأنها ان توفر دخلا للعائلة أو تزيد منه، وهنا تحطمت القيود الإجتماعية الجندرية التي شكلتها وفرضتها الثقافة الإجتماعية الدارجة في مجتمعها. تقول المبحوثة (١٠): ***[كانت ظروف العوائل صعبة جداً بعد أعتقال الرجال، لقد قامت بعض النساء بتوفير عربة لعرض بعض المواد البسيطة وبيعها، وهذا لم يكن عملا مألوفا للمرأة الفيلية....].*** أن هذه الأعمال لم تكن دارجة في الثقافة الفيلية ولا يجوز للمرأة القيام بها، الا أن الظروف القاسية العصيبة التي فرضتها الإبادة الجماعية والتهجير القسري جعلتها لاتلتفت الى ماهو جائز أجتماعياً وثقافياً من أعمال، بل كل ماكان يشغلها هو القيام بعمل يحفظ كرامتها كإمرأة ويوفر المستلزمات الضرورية لعائلتها، ففي غياب الرجل (الأب والأخ والزوج)، أصبحت تلعب دور المعيل للأسرة، الدور الذي كان حكراً على الرجل، كما تقول المبحوثة(12): ***[أكيد عانت المرأة من ظروف لاتوصف، صارت تسوي شغل الرياجيل هم، أصلاً كل شي وكع على راسها، إقتصادياً ونفسياً وإجتماعياً.....].***

مما سبق يتبين لنا أن الظروف السياسية والإجتماعية التي مرت بها المرأة الفيلية من تهجير وتعذيب وتطليق من زوجها بالأكراه وأنواع شتى من المضايقات من تحرش وإغتصاب وإهانة وظروف لاإنسانية قاسية وإنتهاكات نفسية وإجتماعية، جعلتها أكثر قوة وعزيمة وإصرار على مواجهة واقعها بكل شجاعة وجرأة ولم تترك فرصة الا وأستغلتها لتعيد التوازن الذي فقدتة الأسرة نتيجة الجرائم التي أرتُكبت ضدهم، وقد تمكنت بالفعل من ذلك، على الرغم من كل الآلام والضغوط النفسية التي عانتها.

المحور الثالث/ الأوضاع النفسية و الإجتماعية للمرأة الفيلية بعد الإبادة الجماعية/ الآثار النفسية الإجتماعية للإنتهاكات

أكدت العديد من الدراسات أن الحروب والتهجير يشكلان تهديداً على حياة الأفراد بشكل مباشر، فهما يؤديان الى إضطرابات نفسية متنوعة مثل: الإكتئاب، القلق، التوتر، إضطراب كرب مابعد الصدمة، إضطرابات شعورية وسلوكية، ومشاكل جسدية ذات جذور نفسية كآلام الرأس والبطن والظهر، وقد تتوسع دائرة الإضطرابات النفسية لتتحول الى مشاكل في الهوية الذاتية والهوية الإجتماعية لدى الأفراد. (عساف،٢٠١٧). كما تؤكد الدراسات أن الإناث أكثر عُرضة لإضطراب كرب مابعد الصدمة وكذلك الفترة التي تستغرقها، حيث أن فترة معاناة النساء تستغرق وقتاً أكثر من الذكور. (Anthony, 2007:p 11). لقد خلفت جريمة الإبادة الجماعية والتهجير القسري ضد الكورد الفيليين آثاراً رهيبة على الأفراد الذين عاصروا تلك الجرائم الوحشية التي مارسها حزب البعث البائد ضدهم وذويهم. وقد كان للنساء نصيباً أكبر من تلك المعاناة النفسية الناجمة عن الإبادة الجندرية التي لاتزال واضحة على محياهم وحالتهم النفسية.

من أبرز تلك الآثار التي باتت واضحة على الكورد الفيليين هي أزمة الهوية الذاتية وكذلك الهوية الإجتماعية، فقد ذكر كافة أفراد عينة الدراسة أن الإنتماء المذهبي والطائفي الى جانب الإنتماء القومي أصبح يشكل هاجساً كبيراً لديهم، فقد وقعوا ضحية لصراعات سياسية ومذهبية وإجتماعية ونفسية أدت بهم الى الشعور بأزمة الهوية الذاتية والإجتماعية والقومية، فهم لازالوا في كثير من الأحيان يخوضون صراعات الدفاع عن هويتهم القومية الكوردية التي يشكك فيها البعض. (الفيليون ليسوا بأكراد).

تكررت هذه العبارة المؤلمة أكثر من مرة على مسامع الباحثة، فقد ذكروا أن بعض الأشخاص والجهات يطعنون هويتهم وإنتمائهم القومي ويتهمونهم بعدم الإنتماء الى القومية الكوردية، وهم غالباً ما يخوضون صراع الدفاع عن هويتم وكيانهم ولكن دون جدوى. أن هذا الأتهام والتهميش خلق لديهم أشكالا من الصراعات الداخلية فيما بينهم، وعزز من شعورهم بالغبن والتهميش وأضطراب الهوية في مختلف الأصعدة، كالصعيد السياسي والإجتماعي و الثقافي والنفسي. أن تجاهل جريمة الإبادة الجماعية ضد الكورد الفيليين ظهرت واضحة عند كبار الروائيين والشعراء والكتاب البارزين في الساحة الثقافية الكوردية أيضا، حيث أنهم لم يتركوا قضية الا وتحدثوا عنها، بإستثناء جريمة الأبادة الجماعية للكورد الفيليين التي نالت نصيباً كبيراً من التهميش والأهمال وعدم الإعتراف. يذكر الأستاذ (ف،ر) قائلاً: ***[عندما نرى ردود الأفعال تجاه الجريمة المرتكبة ضدنا، وكيفية تهميش الفيليين في كافة الميادين وخصوصاً السياسية منها، وكذلك التشكيك فيهويتنا القومية وإنتمائنا القومي، ينتابنا نوع من الإنكماش والإنغلاق على الذات، وهذا يولد نوعاً من الإحباط والعزوف عن المشاركة السياسية والإجتماعية، ويزداد يوماً بعد يوم.....].*** إن هذا التهميش يحمل في طياته وبصورة غير مباشرة تبريراً ومشروعية لما قام به النظام البعثي البائد من جرائم وحشية ضد الكورد الفيليين من إبادة جماعية وإسقاط جنسية وتهجير قسري وتعذيب وسجن وإعتقالات وتشويه هوية ومصادرة

ممتلكات ضدهم، وإبادة جندرية وثقافية، إن هذا يبين لنا مسألة أزمة وصراع الهوية التي باتت من القضايا العميقة التي يعاني منها الكورد الفيليين عموماً.

علاوة على ذلك، فالمرأة الفيلية تعاني من أزمة حقيقية في هويتها الذاتية، بحيث أن أفراد العينة أكدوا على أن شخصيتها في السابق كانت على درجة عالية من القوة بحيث لاتعرف طريقا للإنكسار، فقد كانت شامخة في كافة الأحوال وتتميز بقدرتها على مواجهة الواقع الإجتماعي والتكيف معه مهما كان صعباً، الا أن ماتعرضت له من ظروف جراء الإبادة الجماعية والتهجير القسري قد أحدث تغييراً جذرياً في طبيعتها. لقد أصبح الحزن و الأكتئاب والعزوف عن المشاركة الإجتماعية من إحدى السمات الواضحة لشخصيتها، الى جانب إنعدام الثقة في الآخرين. الا أنها مازالت تتمتع بقوة الشخصية والقدرة على مواكبة الظروف القاسية وتحقيق التكيف الإجتماعي.

تقول المبحوثة (٣): ***[إن ماحل بنا من ظروف جعلتنا غير راغبين في المشاركة الأجتماعية والسياسية، بل أصبحت المرأة الفيلية تنسحب الى حد كبير متقوقعة على ذاتها تملأها كآبة وحزن مزمنين، تعبر عنها بإرتداء الوان كاحلة كالأسود الذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتنا، لكن قوة المرأة الفيلية لايمكن أن تهتز بتاتا، الا أنها خليط من القوة والقهر والشعور بالمظلومية.....].*** إن العزوف عن المشاركة الإجتماعية والإكتئاب المزمن من أبرز الآثار النفسية التي تعيشها المرأة الفيلية والتي لم تتمكن من تجاوزها حتى بعد مرور ٤٣ عاما على إرتكاب الجريمة. وتقول المبحوثة (٥): ***[النفسية تعبانة كلش والنوم بقلق وأمراض مزمنة، وأمراض مستعصية وقسم ماتوا من الحصرة على أولادهم وأقاربهم من الرجال، ولازالوا يشعرون بخيبة الأمل.....].*** تتبين لنا علامات إضطراب مابعد الكرب واضحة جلية، فالأعراض الجسدية التي تظهر لديهم هي نتيجة طبيعية لتلك المعاناة النفسية والأزمة القاسية التي مرت بهم، والمصير المجهول لعدد كبير من ذويهم كل ذلك ترك آثارا نفسية عميقة ظهرت واضحة في الإكتئاب والأمراض الجسدية المزمنة ذات الجذور النفسية. وكما تبين الدراسات أن ماتمر به المرأة من ظروف نفسية بعد الأزمات يستغرق وقتا أطول وعمقا أكثر وغُبنا نفسيا أكبر. تذكر المبحوثة (٧): ***[تشعر المرأة الفيلية بعدم الثقة بمن حولها، وتتجنب تزويج أولادها من أقارب وأناس من الفيليين، كما وتشعر بالنقص تجاه العوائل والعشائر الكبيرة.....].*** كانت العائلة الفيلية تتميز بقوة العلاقات القرابية وتشجيع الزواج الداخلي، لقد كان لهذا الإرث الثقافي بعداً أقتصادياً، نظرا لأيمانهم بأن المرأة الفيلية أكثر قدرة على إدارة الشؤون الإقتصادية من غيرها من النساء، علاوة على رغبة الكورد الفيليين في تقوية أواصر العلاقات الداخلية، الا أن مايظهر هنا هو نوع من التخوف وعدم الثقة بين الفيليين أنفسهم، وهذا يبين لنا مدى تأثر المرأة الفيلية بالظروف المريرة التي مرت بها والتي جعلتها غير واثقة في بيئتها الإجتماعية وتعرضت شخصيتها المتفتحة القوية الى نوع من الإنكماش والإنغلاق على الذات تجنباً للآلام أو المخاطر التي تتوقع أن تتعرض لها في أي وقت ودون سابق إنذار كما حدث سابقاً في أثناء جريمة الإبادة الجماعية والتهجير القسري. تقول المبحوثة (٨): ***[عانت المرأة الفيلية كثيراً وقد كانت أعمارها طويلة أصبحت قصيرة من شدة الحزن والألم وكانت تنجب أكثر من عشرة أبناء وإنخفضت قدرتها على الإنجاب إلى طفل أو طفلين كونها أساس الحفاظ على المجتمع من الإندثار.....].*** أن الحزن والأسى البالغ الذي تعرضت له المرأة الفيلية أثر سلباً عليها في كافة مناحي الحياة، لدرجة أنه أثر على متوسط الأعمار الذي أخذ بالإنخفاض، كذلك رغبتها في الإنجاب، حيث كانت العائلة الفيلية من العوائل ذات الحجم الكبير وكان تحديد النسل لديهم أمراً غير مرغوب فيه، الا أن هذ قد تغير وأخذت نسبة خصوبة المرأة الفيلية بالإنكماش، كل ذلك يندرج ضمن الأعراض أو الآثار النفسية المترتبة على جريمة الإبادة الجماعية التي نالت المرأة الفيلية حصة الأسد منها.

كانت معاناة المراة الفيلية في البيئة الإجتماعية الجديدة غاية في الصعوبة وكبيرة بحيث لايمكن وصفها، فهي من ناحية فقدت أعز أهلها (الأخ، الوالد، الزوج ،العم، الخال.....) ومن ناحية أخرى كانت مجبرة على الإستقرار في بيئة المهجر فلا حل لها، وهنا بدأت معاناتها مع أزمة الحياة الإجتماعية وأزمة هويتها كإمرأة فيلية. ولاتزال تعاني من الترسبات النفسية لتلك المرحلة والتي تحول دون قدرتها على تجاوز تلك المحنة بل أن آثارها النفسية تمثل عائقاً كبيراً أمام قدرتها على العيش في أمان وسلام دون قلق وترقب وخوف من المصير المجهول، تقول المبحوثة (٩): ***[كلما رأيت أو سمعت شخصاً فيلياً سواء تحدث عن التهجير والجينوسايد أم لم يتحدث، تنتابني حالة هستيرية من البكاء لدرجة أشعر بأنني لازلت أعيش في تلك الأزمة، ولا أخفيك الأمر، فقد زرت عدة أطباء نفسيين لتلقي العلاج لكن دون جدوى، لاأستطيع أن أشعر بالأمان مطلقا.....].*** أن فقدان الشعور بالأمان والسلام النفسي من أحد أبرز الآثار النفسية التي تعاني منها المرأة الفيلية والتي لاحظتها الباحثة لدى معظم أفراد عينة الدراسة إن لم يكن جميعهن، فالذكريات المريرة والآلام والصدمات التي تعرضت لها الواحدة تلو الأخرى، جعلت الشعور بالأمان والإطمئنان لديها أمراً بعيد المنال يكاد يكون أشبه بحلم جميل تصحوا منه على كابوس يذكرها بما مر بها وعائلتها وأهلها وأقاربها من مآسي ومظالم قاسية.

تحدثت المبحوثة (١٤) عن هذه المرحلة قائلة: ***[أن الخوف والذعر الذي عشناه في ذلك العهد أشبه مايكون بزلزال مدمر قام بإنتشال كل ما للأمان والسلام النفسي من معنى، فقساوة ما مر بنا جعلني ولغاية الآن أصحوا من النوم في ذعر ورعب وهناك صوت ينادي، فروا بأنفسكم، لن تنجوا هذه المرة وسيتم تهجيركم وتعذيبكم.....].*** الهواجس والكوابيس والأحلام المزعجة دليل على عمق الآثار النفسية التي تعانيها المرأة الفيلية، غالبيتهن يشعرن بأن الأمان والإستقرار النفسي ذهب مع تهجيرهم وإعتقال وإعدام ذويهم، أن مشاعر الذعر والرعب وعدم الأمان لازالت تنتابهم لغاية الآن بل ويمكن القول أنها المشاعر الأكثر بروزاً في حياتهم وحتى في تعاطيهم مع كافة الظروف المحيطة بهم.

إن المرأة الفيلية تعاني من حالة من الأكتئاب الشديد، مع محاولات فاشلة للتصدي لذلك الأكتئاب أو تجاوز مرحلة الإبادة الجماعية والتهجير القسري الذي مارسه النظام البعثي ضدهم، مرارة التجربة، الى جانب المصير الذي لايزال مجهولاً لعدد كبير من الضحايا جعل عمق الأزمة في تزايد مستمر. الا أن هذه الحالة النفسية لم تقلل من إرادة وعزيمة المرأة الفيلية فهي بشخصيتا القوية والمثابرة، لاتزال تخوض في معترك الحياة حاملة أوجاعها وحزنها في صدرها باسمة في الوجهة باكية في الصميم.

Original Article |**DOI:** https://doi.org/10.14500/kujhss.v6n2y2023.pp265-276

تعد النوستالجيا (الحنين الى الماضي) آلية نفسية دفاعية، وهي من المتلازمات التي يعاني منها العديد من الناس الذين مروا بتجارب صعبة ويجدون صعوبة في التكيف مع الحاضر، لذا يرغبون في العودة الى الماضي ويتمتعون بالتحدث عن الماضي ويتجنبون الخوض في أمور الحاضر والواقع الإجتماعي. كان يُنظر الى النوستالجيا في بداية القرن العشرين على إنه إضطراب نفسي يشمل أعراض كالقلق والحزن والأرق، ومع منتصف القرن العشرين أصبح يتضمن الحنين الى الماضي رغبة لاشعورية في العودة الى مرحلة سابقة من الحياة ومن ثم أصبح يُنظر اليه على أنه نوع من الإكتئاب المُزمن يرافقة شعور بالخسارة والحزن وعدم الرغبة في العيش في الحاضر. (Wildschut& others, 2008: p 304) . بدت علامات متلازمة النوستالجيا واضحة لدى عدد ليس بقليل من النساء في عينة الدراسة، حيث وجدت الباحثة عدداً كبيراً منهم إن لم يكن جميعهم، يتحدثون عن أحداث الماضي قبل جريمة الإبادة الجماعية لدرجة أشبه بما تكون رغبة داخلية دفينة للعودة الى تلك الأيام التي سبقت الجريمة الأليمة.

تقول المبحوثة (١): ***[بين الحين والآخر ينتابني شعور غريب بحيث لا أتمكن من التحدث الى أحد، وكل ماأرغب فيه هو العودة الى بيتنا القديم، والعيش في كنف والدي.....].*** الرغبة في العودة الى الماضي يرافقها شعور بالغُبن والحزن والحصرة على الطريقة المؤلمة التي فقدوا ذويهم بها، هذا الإحساس من شأنه أن يفصل الفرد عن واقعه بحيث لايرغب بل ولا يمتلك القدرة على التعاطي مع الواقع، وكل مايرغب به ويتمناه هو الهروب الى الماضي بحثا عن السكينة والهدوء والسلام النفسي. تقول المبحوثة (٤): ***[لا أستطيع التغلب على حزني، والدي وأخي وأبني، فقدتهم بلمح البصر، كيف لي أن أتقبل ذلك، أشعر بالأسى، ومايصبرني هو التحدث عنهم وإسترجاع ذكرياتي معهم، برحيلهم توقفت الحياة.....].*** التغلب على المآسي والأحزان يحتاج الى إرادة صلبة الى جانب رغبة في الحياة ولو بشكل بسيط، لكن عمق الألم الذي تعرضت له المرأة الفيلية جعلها غير راغبة في الإستمرار، كل ماترغب فية هو إسترجاع ذكريات الماضي مع أعزائها الذين فقدتهم غدراً وظلماً، فالحياة لديها توقفت منذ تلك اللحظة التي فقدتهم فيها، ولا معنى للحياة بدونهم، إنها الية نفسية دفاعية تتجسد في نوستالجيا تهون عليهم الحاضر والآمه الحية المتجددة.

تقول المبحوثة(٦): ***[لا أستطيع التخلص من شعور الأسى والفقدان، لقد فقدنا كل شيء حتى تأريخنا لم يسلم من شرهم، أحيانا أستيقظ من النوم غير راغبة في التحدث الى أحد، وأبقى أنظر الى قصاصات الصور التي بقيت لى من والدي وعائلتي، وأذهب بفكري الى تلك الأيام، وحتى الآن لاأرغب في التحدث عن الحاضر، أيام الماضي مع أهلي وأخوتي هي المتنفس الوحيد بالنسبة لي.....].*** فقدان الأهل والأعزاء من أكثر الأمور مأساوية، فهي تجعل الفرد في حالة من الحزن والأسى، وكلما كانت درجة القرابة أكثر كلما كان الحزن أكبر، ولكن في قضية الفيليين، ليس فقداناً عادياً، بل هو فقدان أكثر من شخص قرب وبطريقة تراجيدية ومأساوية لايمكن لفرد عاصرها الا وتركت آثارا دامية في مخيلته ونفسيته، وكلما أراد تجاوز تلك الحالة، تعود الذكريات الأليمة الى سطح الذاكره مشيدة جداراً مرتفعا يحول دون القدرة على تجاوز القهر والمعاناة، بل أن ذلك الإحساس وكما هو واضح في حالة النساء الفيليات يقوم بإنتشالهم الى ذكريات الماضي التي لم يشهدوا بعدها ظروفاً تجعلهم قادرين على تجاوز المحن النفسية والتغلب عليها، إنها بمثابة تعويض نفسي لهم، فلا يجدون مايتحدثون عنه غير الماضي الذي أصبح المتنفس الوحيد لديهم، كما تقول المبحوثة(٧): ***[أتمنى أن أدفع كل ماأملك مقابل أن أعود الى ماكنا عليه أيام والدي، لقد كان لنا السند الذي ذهب الأمن والأمان بإعتقاله من قبل النظام الشرير، أتمنى أن أعود الى تلك الأيام التي كنا فيها في أمان وإستقرار هذا هو مايرضيني، ولكنني لن أطاله، لذا أذهب اليه في مخيلتي وفي حديثي عن ذكريات أيامنا الماضية.....] .***

تقول المبحوثة (٨): ***[كل ماأرغب فيه هو العودة الى تلك الأيام التي كنا نعيش فيها في أمان قبل التهجير، لا أستطيع تقبل الحاضر مالم أسترجع ذكرياتي معهم، فكلما عدت بذاكرتي الى تلك الأيام أشعر بقوة جديدة نحو الحاضر.....].*** تقوم النوستالجيا بتقوية القدرة على التكيف مع الحاضر وكذلك تقبّله، حيث أنه يعد نوعا من المواجهة بن الفرد وذكرياته الأليمة، ولكنه في الوقت ذاته مواجهة للواقع وإعتراف بأن جرى هو أقوى من إرادتهم على مواجهته فلا بد من التكيف. هذه هي النوستالجيا التي قد تكون أحياناً إيجابية وبمثابة دافع إيجابي للفرد تقوي عزيمتة وتجعله أكثر قدرة على مواجهة الواقع، كما تقول المبحوثة (٩): ***[لن أستطيع أن أتقبل موت أخي، أنه لم يمت، لازلت أسترجع ذكرياتنا معا ونحن أطفال نلعب في فناء الدار، لا معنى للحياة من بعده، ولكن، كلما أتذكر شدة مرضه أثر المواد الجرثومية التي أعطوها إياه في المعتقل، أجد بأن الله قد رحمه من عذاب العيش بمرض لا شفاء منه ...].*** النوستالجيا أحيانا هي متنفس يجعل الفرد يتقبل أكثر الأحداث صعوبة وألما في حياته، فهو شعور خليط بين الحزن والأسى الى جانب التقبل. تقول المبحوثة (١٠): ***[كلما أستيقظت صباحا، أشم رائحة الخبز كما كانت تعده أمي، في تلك الأيام ورغم ماكانت تشعر به من حزن وأسى، لم تحرمنا يوما من تناول الخبز الحار، هذه الرائحة تذكرني بقوة وحنان أمي، وعمق الألم والجرح الذي كنا ندفنه جميعا في داخلنا كي نظهر أمام بعضنا البعض أقوياء أشداء.....ولغاية الآن كلما حلت بي وبأولادي مشكلة، أسترجع تلك الذكريات، وأنهض أقوى بكثير للمواجهة.....].*** تعيد النوستالجيا سلسلة من الأحداث الأليمة المتناسقة الى الذاكرة، وتلعب دوراً في تذكير الفرد بمدى المأساة التي حلت بحدوث الإبادة الجماعية، وإسترجاع عمق المأساة والمعاناة الماضية، تصبح بمثابة قوة داخلية تدفع بالفرد للمواجهة والتحمل والنهوض بقوة وإرادة جديدة. تقول المبحوثة (١٣): ***[أكره الحاضر، أكره كل ما مر بنا من ظروف، غالبا ما أجلس بمفردي وأذهب بذاكرتي الى أيام بيتنا وحينا القديم، كما كان جميلاً وهادئاً، لازلت آراه كذلك، أزوره بمخيلتي كل يوم، ولا أستطيع العيش بدون تلك الصور الذهنية التي ترسخت في ذاكرتي وروحي.....].***

النوستالجيا آلية دفاعية يلجأ اليها الفرد كلما زادت عليه ضغوط الحياة، حيث أنه يرى أن تلك الأيام كانت أفضل وأجمل. هذا من الناحية السلبية، أما من الناحية الإيجابية، فقد يلجأ اليها الفرد ليستذكر أحداث الماضي ومرارتة ويستخدمها كدرع نفسي لتقوية إرادته في مواجهة مصاعب الحياة. كلتا الحالتين، النوستالجيا الإيجابية وكذلك السلبية ظهرت

واضحة لدى المرأة الفيلية، فجزء من أفراد العينة لا يتمكنون من العيش في الحاضر، وكل مايرغبن به هو العودة الى الماضي، وهذا يجدد المأساة لديهن ويعزز الحواجز بينهم وبين الحاضر، ومن ناحية أخرى، فالبعض منهن يلجأ الى ذكريات وأحداث الماضي ليجدد قوته وعزيمته وقدرته على التعاطي مع المشكلات التي يواجهها في الواقع، وفي كل الأحوال، يكون التحدث عن تلك الفترة بمزيج من الحزن والأسى والحصرة والغبن والبكاء والإكتئاب والقهر على كل ما حل بهم من ظلم وإستغلال، الا أن النتيجة مختلفة، فمنهن من تسترجعه للهروب من الحاضر، ومنهن من تلجأ اليه للتكيف مع الحاضر.

إستنتاجات الدراسة

تعد جريمة الإبادة الجماعية والتهجير القسري من الجرائم البشعة التي أرتكبها النظام البعثي البائد ضد الكورد الفيلية وفقا لمراحل متعددة، بلغت ذروتها في ١٩٨٠. لقد دمر النظام البعثي النسيج الفيلي من مختلف النواحي السياسية والإجتماعية والقومية والعائلية والإقتصادية. كان للمرأة الفيلية حصة الأسد من تلك المآسي والآلام والمعاناة. قامت الدراسة بتناول مراحل ماقبل وأثناء وبعد الإبادة الجماعية والتهجير القسري وتأثيراتها النفسية والإجتماعية على المرأة الفيلية.

كانت مرحلة ماقبل التهجير صعبة للغاية عانت فيها المرأة الفيلية صراعات مريرة وعميقة بين الخوف والقلق والتهديد بالتهجير وإعتقال الأهل والأقارب والهروب والتخفي من مكان الى آخر أملاً في العثور على الأمان الذي أصبح عملة صعبة بعيدة المنال في زمن الشح والأزمات الإقتصادية والحروب الدامية. أما مرحلة التهجير، فالظروف السياسية والإجتماعية التي مرت بها المرأة الفيلية من تهجير وتعذيب وتطليق من زوجها بالإكراه وأنواع شتى من المضايقات من تحرش وإغتصاب وإهانة وظروف لاأنسانية قاسية وإنتهاكات نفسية وإجتماعية، جعلتها أكثر قوة وعزيمة وإصرار على مواجهة واقعها بكل شجاعة وجرأة ولم تترك فرصة الا وإستغلتها لتعيد التوازن الذي فقدتة الأسرة نتيجة الجرائم التي إرتُكبت ضدهم، وقد تمكنت بالفعل من ذلك، على الرغم من كل الآلام والضغوط النفسية التي عانتها. أما مرحلة مابعد الأزمة، فمن أبرز الآثار النفسية التي خلفتها على المرأة الفيلية هي الأمراض الجسدية المزمنة ذات الجذور النفسية، وكذلك الإضطرابات النفسية كالقلق والشك وعدم الثقة في الآخرين ودرجات مختلفة من الإكتئاب مصاحبة بنوبات من الهلع والفزع مع ظهور المثيرات الخارجية التي تعيد المأساة الى ذاكرتهم الجريحة والمليئة بالمعاناة والأسى. إضافة الى مشكلة أزمة الهوية الذاتية والإجتماعية التي تعتبر أيضا من الآثار النفسية المترتبة على جريمة الإبادة الجماعية والتهجير القسري وتشويه الهوية القومية والذاتية والإجتماعية، الى جانب متلازمة النوستالجيا (الحنين الى الماضي)، تبين أن معظم أفراد العينة من النساء الفيليات يعانون من متلازمة النوستالجيا، تتركز رغبتهم في إسترجاع ذكريات الماضي والخوض في الحديث عنها بغبن وأسى، وبحنين ممزوج بدفء المحتوى وأسى الكرب والحصرة على ما حل بهم من مأساة. الا أن مايميز حالة عن سواها، أن البعض منهم يعود بالذكريات كآلية دفاعية لرفض الحاضر وعدم القدرة على التكيف معه كلياً (الجانب السلبي للنوستالجيا)، أما البعض الآخر يسترجع ذكريات الماضي للسيطرة على الذات وتقوية القدرة على التكيف مع الواقع بقوة وإرادة جديدة (الجانب الأيجابي من النوستالجيا).

توصيات الدراسة

العمل على التخفيف من حدة الآثار النفسية والإجتماعية لجريمة الإبادة الجماعية على المرأة الفيلية وذلك بالعمل على تمكينها إقتصادياً وإجتماعياً وسياسياً كنوع من التعويض النفسي، وتعزيز مكانتها وتسهيل إعادة إدماجها في المجتمع بصورة لائقة بعيداً عن المصالح والصرعات السياسية والطائفية التي جعلت من قضيتها مادة للإستغلال من قبل جهات حزبية وإجتماعية مختلفة.

قائمة المصادر

أحمد، حسين(٢٠١٩)، المراة الكوردية المناضلة ليلى قاسم أنموذجا، آخر قراءة ٢٠٢٣/١/٤ المرأة الكوردية المناضلة ليلى قاسم حسن.. نموذجاً ((yekiti-media.org

أحمد، سهير كامل(٢٠٠٤)، الصحة النفسية والتوافق، الأسكندرية، مركز الأسكندرية للكتاب

الأزرقي، صادق(٢٠٢١)، محرقة الكورد الفيليين التي سكت عنها الجميع، آخر قراءة ٢٠٢٣/٢/٢محرقة الكورد الفيليين التي سكت عنها الجميع - شفق نيوز ((shafaq.com

الأزرقي، صادق(٢٠٢٢) أبادة الكورد الفيليين في نيسان، آخر قراءة، ٢٢٠٢٢/٢/٢ ابادة الكورد الفيليين في نيسان - شفق نيوز ((shafaq.com

بابان، صلاح حسن(٢٠٢٠)، عراقيون بلا جنسية، من هم الكورد الفيلية وكيف وقعوا في كين السياسة؟ آخر قراءة ٢٠٢٣/٢/١، عراقيون بلا جنسية.. من هم الكرد الفيلية؟ وكيف وقعوا في كين السياسة؟ | أخبار سياسة | الجزيرة نت ((aljazeera.net

جونز، آدم(٢٠١٨)، الإبادة الجماعية المجندرة، ت- لاهاي عبدالحسين، أضافات، العددان ٤٣-٤٤، آخر قراءة ٢٠٢٣/١/٢٠ مكتبة أكاديميا العربية ((academia-arabia.com

سليم، كاوه ياسين و يونس، بازيان(٢٠٢١)، كوردناسى ومافەكانى مرۆڤ، هەولێر، كتێبخانەى تەبايى

عامر،عادل(٢٠١٤)، مفهوم التهجير القسري في القانون الدولي العام، آخر قراءة ٢٠٢٣/١/١٥ مفهوم التهجير القسرى في القانون الدولي العام - ديوان العرب ((diwanalarab.com

عثمان، ريحي وغنيم محمد عثمان(٢٠٠٤)، أساليب البحث العلمي(الأسس النظرية والتطبيق العلمي)، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع

عساف، سامر(٢٠١٧)، الآثار النفسية للهجرة والحروب، أخر قراءة ٢٠٢٣/١/٢٠ مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث – الآثار النفسية للهجرة واللجوء..! ((mominoun.com

الغزوي، فهمي سليم(٢٠٠٠)، مناهج البحث في علم الأجتماع، عمان، دار الشروق

الفضل، منذر(٢٠٠٤)، دراسات حول القضية الكوردية ومستقبل العراق، أربيل، دار ثاراس

الفلاح، عبدالخالق(٢٠١٩)، المرأة الفيلية: الأحقوانة التي تحرك بصمت، آخر قراءة ٢٠٢٣/١/١٠ المراة الفيلية.. الاحقوانة التي تتحرك بصمت - شفق نيوز ((shafaq.com

الفيلي، أحمد ناصر(٢٠١٢)، الفيليون- الأصالة التأريخية والمواطنة المهدورة، أربيل، آراس

كريم، حبيب محمد(١٩٩٨)، (تأريخ الحزب الديمقراطي الكوردستاني- العراق في محطات رئيسية ١٩٤٦-١٩٩٣)، دهوك، خبات

ملكشاهي، ضياء(٢٠٢٢)١، المراحل السبعة، من صفتها الخاصة في الفيسبوك، آخر قراءة ٢٠٢٣/٢/١

Original Article |**DOI:** https://doi.org/10.14500/kujhss.v6n2y2023.pp265-276

https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=3270914763180451&id=100007858784319&mibextid=Nif5oz

ملكشاهي، ظمياء(٢٠٢٢)٢ ، خفقات الأجنحة- كورده فەيلييەكان(مذكرات سجين في نكرة السلمان)، بغداد، دار المتن

المؤتمر الدولي حول الأبادة الجماعية ضد الشعب الكوردي- مشروع توثيق الأبادة الجماعية للشعب الكوردي(٢٠٠٨)، أربيل، مؤسسة آراس

يەكێتی پەرلەمانتارانی كوردستان(٢٠٠٤)، جينۆسايد وتاوانەكانی رژێمی عێراق دژی گەلی كورد، هەولێر ، چاپخانەی شەهاب

Blackstone, Amy,m(2003), Gender Roles and Society, Gender Roles and Society (umaine.edu)

Breslau, N. and Anthony, J.C.(2007) Gender differences in the sensitivity to posttraumatic stress disorder: An epidemiological study of urban young adults. Journal of abnormal psychology, 116(3):607.

Butler, J.(2011)Gender trouble: Feminism and the subversion of identity. Routledge.

Feierstein, Daniel (2014), Genocide as Social Practice – Reorganizing Society under the Nazis and Argentina's Military Juntas, Translate by Douglas Andrew town, Rutgers University Press

Garcia, Marta E. Aparicio(2017), The Psychology of Gender and Health Femininity – an overview | ScienceDirect Topics

Sarantakos, Sotirios (2013), Social Research, 4th edition ,Uk, Palgrave Macmillan

Wildschut, Tim & Routledge, Clay & Jamie Arndt, (2008), Nostalgia, past, present & future, Association for Psychological Science.